١

دور الرواية في عكس المتغيرات الاجتماعية في المجتمع العربي - رواية (خطأ مقصود) لِـمحمد صابر عبيد نموذجاً-

The Role Of The Novel İn Reflecting Social Changes İn Arab Society -The Novel Hataun Maksud By Mohammed Saber Obaid As A Model-

د. مراد كافي

Dr.Murad kafi

muradhasankafi@gmail.com

جامعة وان يوزونجو ييل، كلية الالهيات، قسم اللغة العربية وبلاغتها، وان -تركيا

أ.د. محمد شيرين تشكار

Prof.Dr. Mehmet Şirin ÇIKAR

msirin@yyu.edu.tr

جامعة وان يوزونجو ييل، كلية الالهيات، قسم اللغة العربية وبلاغتها، وان -تركيا

الملخّص

تهتمّ الدراسات الأدبية العربية الحديثة بمواكبة المتغيّرات الحياتية الطارئة على بنية المجتمع العربي على الصعيد السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ والثقافيّ والدينيّ، وتحاول رصد مناحي هذه المتغيّرات، على مستوى الفرد والجماعة. وتنهض هذه الدراسات بفنونها المختلفة لكي تقوم بعملية تشريح فنّي للواقع العربي في ظلّ المستجدّات الراهنة التي غيّرت النسيج الديموغرافي والإيديولوجي للمجتمع العربي؛ فظهرت على أثرها تحوّلات في منهجية دراسات اللغة العربية وآدابها؛ إذ جنحت صوب تقديم مادة أدبية جديدة ذات تماسٍ مباشر مع المجتمع، وذات تعالق وطيد مع أدّق جزئيّات الواقع.

جاء عنوان بحثنا موسومًا بِـ(دورُ الروايةِ في عكسِ المُتغيّراتِ الاجتماعيّة في المجتمع العربيّ: رواية «خطأٌ مقصودٌ» لِـ«محمد صابر عُبيد» نموذجًا)؛ بهدف إبراز دور الرواية في عكس المتغيّرات والمستجدّات التي ضربت فوضاها حال الفرد والجماعة في المجتمع العراقي، والذي تدور فيه أحداث هذه الرواية في ظلّ ازدواجية المحور الفاعل لهذه المتغيّرات؛ إذ ابتُلِي العراق بدخول تنظيم الدولة الإسلامية- المزعوم- فيما يُعرَف بداعش، وكان قبله مُبتَلًى بالغزو الأمريكي.

تسعى هذه الدراسة إلى إجراء مسح تصويري للواقع العراقي وهو تحت سيطرة داعش، حيث تغيّرت الحياة بسبب هذا الدخيل، كما تهدف الدراسة إلى إظهار مهمة اللغة الروائية للسرديّات التي قدّمها الروائي عبيد في روايته كاشفًا فيها التحوّر الفكري والإيديولوجي والديني و... للمجتمع العراقي على مستوى الفرد والجماعة. وستقدّم الدراسة جملةً من النتائج التي تبيّن الدور الوظيفيّ المنوط بفنّ الرواية فيما يتعلّق بعكس واقع مجتمع عربيّ اختلف كلّ الاختلاف عمّا كان عليه قبل دخول «داعش» وبعده، فظهرت علامات هذا الاختلاف على الفكر الفردي والوعي الجماعي للمجتمع العراقي.

الكلمات المفتاحية: الرواية، عبيد، التوظيف الأدبي، خطأ مقصود.

Abstract

Modern Arabic literary studies are concerned with keeping pace with the life changes occurring on the structure of Arab society at the political, economic, social, cultural and religious levels, and trying to monitor the aspects of these changes, at the individual and group levels. These studies promote their various arts in order to carry out an artistic dissection of the Arab reality in light of the current developments that have changed the demographic and ideological fabric of Arab society; As a result, shifts emerged in the methodology of Arabic language studies and literature. It has tended to present a new literary material that has direct contact with society, and has a close relationship with the most minute details of reality.

The title of our research was marked with The Novel by Mohammed Saber Obaid as an example, With the aim of highlighting the role of the novel in reversing the changes and developments whose chaos has struck the individual and the group in Iraqi society, in which the events of this novel take place in light of the duality of the active axis of these variables; Iraq was afflicted with the entry of the Islamic State in what is known as ISIS, and before it was afflicted by the American invasion. This study seeks to conduct a pictorial survey of the Iraqi reality under the control of ISIS, where life has changed because of this intruder. The individual and the group.

The study will present a set of results that show the functional role entrusted to the art of the novel in relation to reflecting the reality of an Arab society that differed completely from what it was before and after the entry of –ISIS–, so signs of this difference appeared on the individual thought and the collective awareness of the Iraqi society.

Keywords: novel, Obaid, literary employment, hataun maksud.

مقدّمة

تهتمّ الدراسات الأدبية العربية الحديثة بمواكبة المتغيّرات الحياتية الطارئة على بنية المجتمع العربي، وتحاول رصد مناحي هذه المتغيّرات، على مستوى الفرد والجماعة. وتنهض هذه الدراسات بفنونها المختلفة لكي تقوم بعملية تشريح فنّي للواقع العربي في ظلّ المستجدّات الراهنة التي غيّرت النسيج الديموغرافي والإيديولوجي للمجتمع العربي؛ فظهرت على أثرها تحوّلات في منهجية دراسات اللغة العربية وآدابها؛ إذ جنحت صوب تقديم مادة أدبية جديدة ذات تماسٍ مباشر مع المجتمع، وذات تعالق وطيد مع أدّق جزئيّات الواقع.

جاء عنوان بحثنا موسومًا بِـ(دورُ الروايةِ في عكسِ المُتغيّراتِ الاجتماعيّة في المجتمع العربيّ: رواية «خطأٌ مقصودٌ» لِـ«محمد صابر عُبيد[1]- نموذجًا»؛ بهدف إبراز دور الرواية في عكس المتغيّرات والمستجدّات التي ضربت فوضاها حال الفرد والجماعة في المجتمع العراقي الذي عانى من الغزو الغربي-الأمريكي وغزو جماعة تنظيم داعش المزعوم. وسنحاول في هذا البحث الإجابة عن عدد من الأسئلة المحورية التي تصبّ في مضمون العنوان، من مثل: ما دور الرواية في عكس الصورة الصادقة لمجريات الأحداث في بنية المجتمع العراقي على مدى عقود من الزمن؟، كيف استطاع الأديب والروائي محمد صابر عبيد أن يرصد التغيّرات التي ألّمت بمفاصل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وغيرها؟، ما آثار دخول تنظيم الدولة المزعوم على إيديولوجية النسيج العراقي على مستوى الفرد والجماعة؟، كيف سخّر الروائي عُبيد اللغة الفنيّة والأسلوبية لروايته لأجل عكس مستجدّات حقبة تأريخية مهمة من تاريخ العراق والمرهونة بدخول تنظيم داعش ومن قبله الغزو الأمريكي للبلاد؟. وسنحاول عبر تتبّع أجوبة هذه الأسئلة وغيرها من الأسئلة، الوقوف على دراسة علاقتي التأثّر والتأثير الكامنة بين الأدب- عبر ضرب الرواية- والوقائع والحقائق والإيديولوجيات التي تبلورت بشكل جديد إبّان دخول العراق في معمعة الصراعات الداخلية والخارجية والتي انعكست على أكثر من محور؛ كفطرة الفرد العراقي والإيديولوجية

(١) محمد صابر عبيد من مواليد ١٩٥٧ زمّار/ الموصل، حاصل على دكتوراه في الأدب العربي الحديث والنقد عام ١٩٩١ / جامعة الموصل، حصل على درجة الأستاذية عام ٢٠٠٠، أستاذ النقد الأدبي الحديث في الدراسات الأوليّة، أستاذ المناهج النقدية الحديثة والنقد التطبيقي في الدراسات العليا في جامعة تكريت وجامعة الموصل العراقيتين، وجامعة يوزونجو ييل في مدينة وان/ تركيّا. هو عضو الاتحاد العام للأدباء والكتّاب في العراق، وعضو الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب، وعضو اتحاد الكتّاب العرب، كما أنّه رئيس تحرير مجلة (شرفات) الثقافية الصادرة في الموصل/ العراق. نال العديد من الجوائز التقديرية على نتاجاته الأدبية والتأليفية، وأوّلها كان في مسابقة الشارقة للإبداع العربي- الدورة الثانية ١٩٩٨- في مجال النقد الأدبي، عن كتابه» السيرة الذاتية الشعرية». له كمٌّ غزير من النتاجات في حقول الأدب؛ شعرًا ونثرًا ونقدًا، ومؤخّرًا دخل مجال الرواية باكورة أعماله الروائية المعنونة بـ «خطأ مقصود».
خطأ مقصود، محمد صابر عُبيد، ص٣٣٣.

المكتسَبَة، والهجرة واللجوء، والأسرة العراقية، والهويّة والانتماء و... وغيرها من المحاور.

وستعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في معالجتها جملة من الظواهر السياسية والعسكرية والاجتماعية والفكرية و...؛ للوقوف على أسبابها ونتائجها ولمعرفة آثارها على بنية المجتمع العراق، إضافة إلى الاعتماد على المنهج النقدي في عملية تقديم الانطباعات الذوقية للأثر الأدبي، ومن جهة أخرى سيُعتمد على الرؤيا السيوسوثقافية في قراءة مجتمع الرواية وتحليل شخصياتها. وستخلص الدراسة إلى تقديم عدد من النتائج التي من شأنها أن توضح أبعاد العلاقة بين الدراسات الأدبية المختلفة ووقائع الحياة الفردية والاجتماعية في مجتمع العراقي– نموذجًا–، كما ستركّز النتائج على أهمية تماهي الدور الإنساني والدور الأدبي للكاتب في تصديه لعملية تقديم صورة أدبية فنية صادقة لما يجول في مجتمعه بكل موضوعية وحيادية.

١. قراءة سريعة في الفضاء التخييلي الروائي لرواية «خطأٌ مقصودٌ»:

تسعى هذه الدراسة إلى طرق أبواب الفضاء التخييلي للروائي لمحمد صابر عبيد وهو يقدّم نفسه للمتلقّي بصفة أدبية جديدة وهي الروائي، وقد اعتدنا عليه أديبًا وناقدًا وشاعرًا، وهذه المرّة الأولى التي نقابله بصفته الروائي. رواية– خطأ مقصود– هي أوّل عمل روائي له، وقد كان خطّ الواقعية الاجتماعية بوصلة الروائي في سردياته، هذه الواقعية التي لا تنفصل عن الإنسان الفرد ضمن جماعته وبيئته وزمانه. تمتدّ النصيّة السردية الحكائية لرواية خطأ مقصود على مساحة ورقية وصلت إلى ثلاث مائة وخمس وعشرين صحيفة، وقد أُنِيطَ بها مهمة خلق فضاء روائي تخييلي مولود من رحم الواقع العراقي لصالح شخوص الرواية بأحداثها وزمانها ومكانها المُحَدَّدَين بموضوعية عالية.

يعالج الكاتب في هذا الفضاء التخييلي/الواقعي قصة عائلة الساعاتي (عبد الرزاق عيد) وأولاده الثلاثة (عماد وسلام وسمر) وأمّهم (سميحة)، والذين يسكنون في منطقة الشيخ حمصي التابعة لناحية زمّار في قضاء الموصل في العراق، مسقط رأس الكاتب. امتهن الأب مهنة تصليح الساعات حتى احترفها، وذاع صيته فيها كمصلّح وتاجر إلى درجة أنّه أصبح مَعْلَمًا من معالم منطقة سوق السراي حيث دُكّانُه. يُعتَقَل الأب من جماعات داعش بعد دخولها الموصل وتنقطع أخباره، لِيُسمَع بعد ذلك بأنه أُعدِم. أمّا الابن (عماد) فكان يعمل في فرنٍ في سوق السراي الذي عشقه مذ كان صغيرًا، يصطحبه والده معه إلى هذا السوق ليعلّمه مهنته، لكنّه اختار أن يجد ذاته في تأسيس معمل لإنتاج الخبز والحلويات. أمّا (سمر) فهي البنت الوحيدة للعائلة، كانت تدرس في كلية الصيدلة، فتاة طموحة لها نصيب موفور من الذكاء والأنوثة، ولكنها غدت ضحية من ضحايا داعش الذين استباحوها وحوّلوها إلى سَبِيَّة رخيصة لأمير من أمرائهم.

أمّا الأمّ (سميحة) فقد كان لها حضور متواضع؛ رأفةً من الكاتب بها لكيلا تعيش مصابات تفكك العائلة بعد احتلال داعش للمنطقة وإعدام زوجها (عبد الرزاق) على يد داعش، وهجرة فلذة كبدها الأوسط (سلام) إلى أوروبا، فلم يحتمل قلب هذه الأم المفجوعة حجم المآسي والآلام التي توالت عليها؛ فماتت جرّاء عدم تحمّلها جرعات زائدة من الوجع والقهر والكآبة.

(سلام) الابن الأوسط، والذي يمثّل الحبكة الروائية، كان ذا نزعة تمرديّة على ذاته ومجتمعه وعلى أسياد القرار في بلده؛ لذلك هاجر إلى ألمانيا بُعيد هجوم داعش على المنطقة، تاركًا دراسته في كلية الزراعة، وهناك تزوج بامرأة مطلقة مزدوجة الجنسية؛ تحمل الجنسية الألمانية إلى جانب جنسيتها الأصلية اللبنانية، وارتبط بها لتساعده في تأمين أسباب الاندماج والاستقرار والتأقلم مع مجتمعه الجديد، وعلى الرغم من انشغاله في ترتيب أوراقه الجديدة في بلاد اللجوء، فقد كانت روحه تخاطب عائلته عبر رسائل بريدية مكتوبة باليد، أرسلها إلى عائلته بشكل فرديّ كلّ باسمه وصفته، وقد شكّلت هذه الرسائل منعطفًا سرديًّا في نهاية الرواية عندما وصلت إلى يد (فوزية الأمين) الموظفة في قسم بريد بغداد، والتي سمحت لنفسها بالتعدّي على عذرية الرسائل وقراءتها بداعي الفضول؛ بعد أن جذبها خطّ(سلام) على الغلاف الخارجي الرسائل، كما استهواها فضول معرفة سبب إرساله أربع رسائل منفصلة لأفراد عائلته!. رأت (فوزية الأمين) في هذه الرسائل مادة فنيّة سردية تستأهل أن تضَمَّن في المادة السردية للرواية التي يعمل زوجها (مصطفى الفيل) على كتابتها، والذي سارع- بدوره- إلى توظيف رسائل (سلام) في روايته بشكل صريح وواضح، متخذًا من قصص هذه العائلة مادة درامية تشويقية لرواتيه. ولكن سرعان ما يلازم (فوزية) الإحساس بالذنب؛ فتطلب من زوجها تجريد روايته من كلّ ما يمتّ بصلة إلى رسائل (سلام)؛ علّها تكفّر عن شيء من ذنبها وذنب خرقها مهنية وظيفتها الإدراية القائمة على أساس من السريّة والأمانة والتكتّم، ومع رفض زوجها طلبها تتأزم علاقتهما إلى درجة استحال بعدها اجتماعهما تحت سقف بيت الزوجية، لِيُصبحَ موضوع نشر الرواية- بعد ذلك- بتحويرها الجديد تحديًّا جديًّا لهذين الزوجين، إذ هدّدت الزوجة(فوزية الأمين) زوجها(مصطفى الفيل) بأن مبادرة نشر الرواية هي إيعاز ضمني ينزل منزلة ورقة طلاق تنهي علاقتهما. تنتهي الرواية بنشر(مصطفى الفيل) الرواية وقد غيّر عنوانها من (خطأ في ترتيب المكعبات إلى عنوان جديد هو (خطأ غير مقصود)، مع الاحتفاظ بأغلب التفاصيل المنزوعة من رسائل(سلام)؛ ممّا جعل (فوزية) تحاول - وعلى وجه السرعة- إنهاء حياتها بتناول دواء منوّم بجرعات عالية؛ إقدامًا منها على الانتحار غير المباشر.

يكون سلام خلال هذه الأحداث قد رجع إلى العراق، بعد أن غادرت زوجته إلى لبنان دون

رجعة، والتقى بمن بقي من أسرته. إذًا، هذه الرواية سرد حِكائي شائقٌ، هو مزيج من السيرذاتية الحذرة التي تلجأ إلى الاحتراز عبر تقانة التخييل، والتأريخ الصادق لأحدوثات لا تخرج عن نطاق مصداقية الزمكانية، والتوثيق السوسيولوجي والإيديولوجي لوقائع شهدتها جغرافية العراق في الموصل، وعلى مستوى الزمان فقد حُدِّد بصيف حزيرانيّ من سنة ٢٠١٤، والحدث الروائي الدرامي الفارق هو احتلال تنظيم داعش للمنطقة.

٢. الدراسة الفنية:

لقد سعى محمد صابر عبيد إلى تجسيد تأريخي لمرحلة حساسة من تاريخ العراق، والمرتبطة بدخول تنظيم داعش المزعوم إلى قضاء الموصل العراقي، ولكون جذوره تنحدر من هذه البقعة الجغرافية أوّلًا، ولكونه عايش كمًّا ليس بقليل من معاناة أهل العراق بعامة والموصل بخاصة إزاء اجتياح تنظيم الدولة للمنطقة، ومن قبله كانت معاناة الاجتياح الأمريكي الذي أسقط النظام الرئاسي الجمهوري السابق؛ فقد جاءت روايته لتعكس جملة واسعة من المتغيرات التي أصابت الهيكل العام للبلاد، وأثرت على نحو خطير في تشكّل نسيج شعبي جديد يحمل إيديولوجية مختلفة عن إيديولوجية المواطن العراقي المعهود، كما حاول عبيد أن يوظّف الفن الأدبي الروائي من أجل أن يكون مرآة مصقولة تظهر الواقع السياسي والعسكري والاقتصادي والفكري والديني والثقافي المعيش ضمن زمكانية الرواية؛ الأمر الذي انعكس فنيًّا في مرويّاته، وأظهر أنّ الأدب لا ينفصل عن الواقع بحال من الأحوال، إضافة إلى إظهار التعالق الوطيد بين إيديولوجية الكاتب أو الأديب بالإيديولوجيا المجتمعية للبيئة العراقية، وقد ظهر هذا التعالق في الرواية بشكل فنّي ومدروس سنأتي على ذكره في مقامات لاحقة.

في هذه الرواية تتعاور الأحدوثة الفردية مع الأحدوثة الجماعية متعالقة فيما بينها داخل النسيج الحكواتي للرواية ضمن حقل السوسيوثقافية؛ ويُعنَى المصطلح سوسيولوجيا الثقافة بتحليل طبيعة العلاقة الموجودة بين أنماط الإنتاج الفكري ومعطيات البنية الاجتماعية، وتحديد وظائف هذا الإنتاج في المجتمعات ذات التركيب التنضيدي أو الطبقي، فالمساهمة السوسيولوجية في الميدان الثقافي تتمثل– بالضرورة– في تفسير الظواهر الثقافية أو الإيديولوجية بصفة عامة، في إطار علاقاتها بالمعطيات الموضوعية لصيرورة المجتمعات(١).

عالِم العقيدة الأمريكي كريستوفر باتلر Christopher Butler قضية تفسير النصّ الأدبي على أساس إيديولوجي في بحث مضمّن في كتاب (التفسير والتفكيك والأيديولوجية)، وعزاها إلى ركنين:

– أُطُر الافتراضات والأفكار التي تشكّل رؤية القارئ للعالم، والتي يُفهم من خلالها النص. وهو ما يسميه بخلفية المعلومات الأساسية.

(١) سوسيولوجيا الثقافة، الطاهر لبيب، ص١١-١٢.

- استخدام هذه المعلومات الأساسية استخدامًا واعيًا، وهو ما يسميه بمشروع الفهم والتفسير.

ويصف (باتلر) أطُر التفسير المختلفة وخططه بأنها النظائر العقلية والنفسية العلوية للنظم الإرشادية الاجتماعية، أو نظم المعاني والدلالات في ثقافة معينة، وتقوم هذه الأطر على مبدأ محاكاة الواقع، فالمواقف التي تصوّرها النصوص الأدبية ترتبط بمعارفنا عن العالَم، وبالأساليب التي يُلجَأ إليها في فهم هذا العالم وتفسيره والتعامل معه. وكل نصّ يركز على بعض الأنماط والنظم الحضارية التي تمثّل القيم المعيارية في النصوص؛ أي إنّ القارئ يفترض أنّ النص يحاكي العالم بصورة ما، ويختار عيّنة من عيّنات التجارب الإنسانية ويركز عليها دون غيرها، ولكن علاقة النص الأدبي بالعالم الخارجي، أو بالإطار العقائدي أو الفكري السائد خارجه ليست عملية تصوير تعتمد على المحاكاة البسيطة فحسب، إذ إنّ النص -عادة- ما يخفي حقيقته عنّا بما هو نصّ أدبي خيالي مصطنع، ويقدّم إلينا نفسه بوصفه واقعًا يصل إلينا عبر حاجز شفاف[1].

لم يكن الروائي عبيد ببعيد عن ازدواجية الإيديولوجية في بعض من شخصيات روايته، بل على العكس من ذلك، كان يعرف كيف يسرد الحدث الدرامي بطريقة روائية فنية تعكس الحال المعيش في الموصل/العراق عبر الأحداث العامة التي عاشها نموذج العائلة العراقية متمثّلاً في عائلة الساعاتي(عبد الرزاق عيد)، إذ إنّه من خلال هذه العائلة قام بعملية عطف سردي على المتغيرات الخارجية التي ضربت بنية المجتمع العراقي منذ ثمانينيّات القرن الماضي؛ ابتداءً من حربه مع إيران مرورًا بالاجتياح الأمريكي- الغربي في التسعينيّات،وانتهاء بدخول تنظيم داعش في صيف عام**٢٠١٥**، فقدّم للقارئ علاقة توازنية قرأ بها سير الخط البياني المتسارع والمتصاعد للحدث السردي الخارجي الذي أصاب العراق وأثّر- على المستوى المباشر وغير المباشر- في تغيير مستويات الوعي والفكر والثقافة لدى الفرد والجماعة. نقرأ- مثلاً- في شخصية الابن الأوسط(سلام) صورة المواطن العراقي الشريف والنزيه والطموح والواثق، وفي الوقت نفسه نقرأ في الخلفية البصرية التي اختارها الكاتب لهذه الصورة فوضى هدّامة هي مزيج من انحلال مبادئ التكافؤ والعدالة والنزاهة والأخلاق والمواطنة والانتماء، إذ من الطبيعي في ضوء انحلال هذه المبادئ مجتمعة- وغيرها- أن يفقد الفرد هويته وكينونته وذاته؛ فيكون خيار اللجوء إلى بلاد الغرب حلاً أوّلًا وأخيرًا لأمثال(سلام) من شباب العراق وشباب المجتمع العربي. ولكن ما يهمّنا ههنا هو براعة الأديب عبيد في توظيف نموذج فردي في سردياته ومروياته بهدف اطلاع القارئ على التحولات الجذرية التي ضربت فوضاها المجتمع العراقي قبل دخول تنظيم داعش، ونجح في عزو موجات اللجوء العربية

(١) التفسير والتفكيك والإيديولوجية ودراسات أخرى، تيري إيجلتون وآخرون، باتلر ٦٠-١١٨، ص٦٣ وما بعدها.

صوب أوروبا إلى سبب رئيس وجوهري نابع من تغيير البنية الاقتصادية والاجتماعية والإيديولوجية للمنطقة العربية بشكل عام والعراق بشكل خاص، ومثل هذا التغيّر ينخر في بنية المجتمع على مستوى الفرد والجماعة، فيُصار إلى تولّد ردود فعل طبيعية تتناسب طردًا مع طبيعة المتغيّر ومنحاه. يقول عبيد على لسان الشخصية (سلام) في حواره مع صديقه(خالد) الذي تأثّر بالأحداث السياسية والعسكرية والاقتصادية للبلاد بُعيد دخول داعش، وكان كثيرًا ما يمنع (سلام) من اتّخاذ قرار ترك البلاد بدافع الانتماء الوطني، وهو نفسه؛ أي خالد باع انتماءه ووطنيته العراقية لصالح داعش بسبب تغيّر في إيديولوجيته الذاتية والوطنية في زمان لاحق لزمن الحوار الآتي:

«– هل جُننت؟ تترك أسرتك الرائعة، حبيبتك سهاد، ودراستك ومستقبلك وعملك الذي تحبّ في التصميم؛ إذ يدرّ عليك مبلغًا لا بأس به وأنت تفكّر في تطويره ليكون مؤسسة كبيرة في قابل الأيّام، وتترك أصدقاءك وذكرياتك وأحلامك وجذورك في مدينتك التي طالما تغنّيت بها تاريخًا وحاضرًا؟ لا بدّ أنّ عقلك أصابه نوع من الانحراف أو الخرف.

– ربّما انحرفَ عقلي عن جادة الصواب كما تقول يا صاحبي، ما الذي ينقصني كي أغامر كما غامر قبلي كثير من الأذكياء، وبنوا أمبراطوريات كبرى في الخارج، أنا شاب في مقتبل عمري، ولديّ من الذكاء ما يسمح لي أن أستغلّ أنصاف، بل أرباع الفرص لأحقق شيئًا مهمًّا طالما حلمتُ به.

– طيب ولماذا لا تحقّق أحلامك هنا يا أخي، ألم يتمكّن غيرك أيضًا من بناء أنفسهم في وطنهم من دون المغامرة بالحياة والمستقبل والذاكرة؟

– لا، الوطن محدود ولا يسمح إلّا في حدود ضيقة لأصحاب المواهب مثلي أن يقفزوا قفزات كبرى تختصر الزمن نحو الأهداف العظيمة، الوطن يكيل بمكيالين، وينظر إليهم بعينين مختلفتين متباينتين.

– الحكّام والمسؤولون هم من يفعلون ذلك لأن الوطن قيمة اعتبارية نصنعها أنا وأنت، فلا يصحّ وصم الوطن بالنفاق.

– الحكام والمسؤولون عندنا هم الوطن، يشترون ويبيعون فيه كما يشاؤون كأنّه ملك أجدادهم ونحن خرجنا من شقّ الحائط، المال والشهرة خلف الحدود يا صديقي.

– وهل الأهداف العظيمة لا تتحقق إلا بكثرة المال، وأن تصبح مليونيرًا؟

– طبعًا، المادة هي الأساس، ودَعْكَ من هذه الرومانسيات الباطلة الفارغة التي تتحدّث عن الأخلاق والمبادئ وحبّ الوطن وسلسلة المصطلحات التي لا تغني ولا تسمن ولا تفعل شيئًا سوى تسويف الأمل، كلها منظومات مفاهيم يفرضها أغنياء وأصحاب السلطة علينا نحن الفقراء لكبح جماحنا وترويعنا والحدّ من طموحات الموهوبين والمتمردين والعشاق الكبار فينا، لم أعد أثق في هذه المسلّمات الخرقاء التي يخشى أكثر الناس مجرّد مناقشتها أو النظر فيها أو مساءلتها.

– أفهم من هذا أنّك لا تعترف بالمبادئ والأخلاق مثلاً؟

– لا أقصد هذا بالضبط، فهي على العموم مفاهيم نسبية وتُقيّد عندنا بالدين والسياسة لتدخل في باب الممنوعات الشائكة، لكن بلا أموال كثيرة تعيش وتموت وأنت في مساحة حياة ضيقة لا تتسع لأصغر الأحلام...»[1].

وفي مكان آخر يقول(سلام) في جلسة صراحة مع نفسه بعد معاينة نتائج التغيّرات الخارجية الحاصلة في الواقع العراقي المعيش:

«عمري وبعد أيام قليلة يتجاوز العشرين وما زلتُ ضائعًا بين دراسة مرغم عليها في كلية الزراعة لا يمكن أن تحقق واحدًا بالمئة من طموحاتي، ومكتب التصميم الذي يدرّ عليّ مبلغًا لا يكاد يكفي حاجياتي مع أنني مصمم جيد بشهادة الكثيرين ممن يعرفون فنّ التصميم، وقد شاركت في كثير من المسابقات التي تعلن عنها المؤسسات الحكومية والشركات الكبرى لعمل تصاميم، ولم أفز ولا مرة في أيّ منها مع أنّ تصاميمي حين أقارنها بالتصاميم الفائزة لا أشكّ لحظة واحدة في أنها الأجمل والأرقى. ثمة خطأ شبه مقصود في مكان ما من الأشياء لا تثير فيّ سوى رغبة الهجرة وترك هذا المكان المسجون بسلسلة لا متناهية من الأخطاء....»[2]

لقد سعى عبيد إلى تقديم قراءة ميدانية إزاء قضية الهُويّة المفقودة في رحلة بحث الأنا الشرقية عن أناها المعادل المفقودة في الوطن/العراق عبر عملية قراءة مزدوجة لتأزّم الواقع العراقي وانعكاساته على شخص الفرد/المواطن متمثّلاً في شخص (سلام)، وقد وجد في الأنا المُقَيَّدة لهذه الشخصية انعكاسًا إجرائيًّا لقضية فقدان الانتماء والحسّ الوطني تجاه كيان الدولة العراقية، والإحساس بالغربة ضمن الوطن، وتفاقم شعور الضياع واحتضار الذات المطموح إليها في المجتمع الأم.

المعادلة النقدية التي كانت تعتور المِخيَال النقدي لعبيد بصورتها النظرية تكمن في صيرورة المكان/ الوطن في التشكّل الذهني الصوري لدى (سلام) إلى صيرورة مناقضة تمثّلت في اللامكان/ الوطن، جرّاء معايشات اقتصادية وسياسية واجتماعية أحالت الحضور الشعوري والإجرائي للوطن إلى منعطف انعكاسي مغاير تمامًا لصورة الوطن التي يجب أن يتمثّل بها تجاه أبنائه وفق الرؤية المنطقية الإيديولوجية لِ(سلام) وأمثاله من شباب العراق، ومن ينحو نحوهم من شباب المجتمعات العربية القابعة تحت سلطة اللا سلطة؛ فبدخول داعش انتفى ما تبقى من معايير السلطة الفاسدة إلى اللا سلطة وباتت سلطة الوطن تابعة لسلطة داعش، هنا وتحت هذا التناقض المريب في تحوّل كيان عظيم سائد ككيان العراق/ الموصل، بغضّ النظر عن الفوضوية واللا عدل التي كانت تحكمه، إلى كيان تابع لكيان التنظيم الدخيل

(١) خطأ مقصود، محمد صابر عبيد، ص ٢١١-٢١٢-٢١٣.
(٢) خطأ مقصود، محمد صابر عبيد، ص ٢١٦-٢١٧.

أدخل الجميع في دوّامة البحث عن الذات والهُويّة والمكان والسيادة والانتماء.

تناهى المكان الجغرافي/الموصل إلى اللا مكان واللا ذات واللا هُويّة؛ فكان لا بدّ أن يُبحَث عن مكان بديل وأنويّة بديلة وذات بديلة توفّر لمن يبحث عنها بدائل موضوعية لأساسيات الإنسانية والعدالة وتكافؤ الفرص وتوازن الحقوق والواجبات، ولا تتوافر هذه البدائل إلّا في بلاد الغرب، حيث تربّى جيل (سلام) على تنمية ذهنية عقلية جديدة مُكتَسبَة لا فطرية ترى أنّ ما في المكان الأم/ الوطن هو شعارات فارغة ورنّانة ومتبخرّة، مهمتها تكمن فقط في أن تنادي بحق المواطنة والتكافؤ والعدالة والحريّات، وهذه المنشودات لا تُنشَد في الوطن بل في بلاد الغرب، وفق سُنَّة من سبق من المهاجرين ونقلاً عن أحاديثهم المتواترة حول اللقاء بمفقودات الوطن وتحقيق الطموحات التي بُنِيَت على ميثاق الثقة بهذا الوطن ولكن خابَ من آمَنَ وطنه عليها، فغَدَت ألمانيا بالنسبة لِ(سلام) وأترابه بمنزلة وطن بدل ضائع.

لقد تفنّن الأديب عبيد وهو يعقد يحيل هذه المعادلة النقدية النظرية إجراءً روائيًّا سرديًّا عبر قصة (سلام) الباحث عن المكان والذات والأنا الآخر بعد أن شعر بأنّ أناه بدأت بالاغتراب عنه وهو في المكان الصحيح كما تقول معايير الجغرافيا واللغة والدّين ومنظمات حقوق الإنسان وما شابه. واستطاع عبيد أن يرسم عبر هذه القصة الأرضية الواقعية المهزوزة لبلد كالعراق، والتي استند عليها(سلام) وهو يعقد بكتابة آخر سطر له في الوطن، فكشف لنا الأديب عبيد عن تخبّطات متداخلة مشت بالواقع العراقي صوب اللا حلّ واللا بناء، ففوضى البلاد شملت ضعف الموارد الاقتصادية وغياب الحقوق الفردية والجماعية، وانفصام الحبل الذي يربط العراقي بوطنه، وشيوع الرشى، واستفحال المحسوبيات والواسطة، فصار القرار بيد ثلّة من أصحاب الشأن المتنّفذين، ومع دخول داعش تفاقم الوضع إلى ما هو أسوأ؛ إذ وُلِدت دويلة داعش داخل دولة العراق فضربت أطناب هذه الفوضى جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والإيديولوجية، وقد أحاط عبيد قارئه بجزء كبير من هذه التغيرات الطارئة التي استلزمت منه أن يختار نقطة تبئير روائي متقنة ومدروسة يستطيع من خلالها تشريح الواقع ضمن المعطيات الراهنة والمستجدة والمؤول إليها. وهذا ما يسمح لنا بالقول إنّ الدراسات الأدبية لا بدّ لها من أن تتأثّر بالتطورات الواقعية المعيشة، وذلك ما يُمكن ملاحظته في فنّ الرواية حين تسرد سردًا تأريخيًّا واقع مجتمع ما كالمجتمع العراقي، وهذا السرد يتأثّر فنيًّا على مستوى الشكل والمضمون حين يختار الرواي موقعًا تبئيريًّا مناسبًا لعرض أحدوثات التغيرات الحاصلة، فكان موقعه التبئيري هو موقع الرواي الضمني العليم على حدّ تعبير الناقد(سعيد يقطين)، إذ يختبئ الكاتب في رواية(خطأ مقصود) خلف الراوي، وموضعية الكاتب هنا تكون بمنزلة الذات الثانية للكاتب داخل النصّ. وتُقَسَّم العلاقة

بين الراوي المروي له ضمن العلاقات الآتية:

- الكاتب الضمني: الراوي يكون كذات ثانية معادلة للكاتب داخل البنية الروائية.

- الراوي غير المعروض: الراوي غير ممسرح في النص؛ أيّ غير متلبّس للشخصية أو متماهٍ معها.

- الراوي المعروض: تظهر ملامح الرواي وأفكاره جليّة؛ أيّ إنّه يتماهى مع الشخصية[1].

فيما حدّد مجموعة من النقّاد الغربيين مفهوم الراوي وموقعه من البنية السردية على الشكل الآتي:

- الراوي العليم: وهو من تكون معرفته بالأحداث على درجة أعلى من معرفة الشخصية نفسها.

- الراوي محدود العلم: ومعرفته تساوي درجة معرفة الشخصية.

- الراوي قليل العلم: تكون معرفته أقلّ من معرفة الشخصية، وهو يعوّل على الشخصية أن تُبدي له ما خفي عنه، وتكشف له ما تقدّمه؛ أي إنّه أمام رؤية خارجية تتبّع كل ما يصدر عن الشخصية.[2]

فالتبئير إذًا مصطلح يشيع في مجال فنّ الرواية، ومجال النقد السردي، ويعني باختصار تحجيم مسافة الرؤية عند الراوي وتقليصها، وحصر معلوماته. والعناية بزاوية النظر إلى الشخصية وأفعالها، والرواية وأحداثها من خلال وجود بؤرة في الهيكل السردي تحدّد إطار الرؤية[3]. وفي رأي الناقد (لطيف زيتوني) في معجمه(مصطلحات نقد الرواية) أنّه يندر وجود روايات تعتمد صنفًا واحدًا من التبئير؛ لأنّ التبئير الواحد يضيّع على الرواية الأثر الذي يخلقه الانتقال من تبئير إلى آخر[4]. بناءً على ما سبق، نجد عبيد قد اختار أن يكون راوي(خطأ مقصود) عليمًا، يملك من المعلومات ما يمكّنه من تقديم قراءة موضوعية حيادية للكمّ التغيّراتيّ الماثل في بنية المجتمع العراقي والذي نخر مفاصل أنظمته الحاكمة قبل استلام داعش لدفّة القيادة عبر بوابة الموصل، ونتج عن ذلك ولادة معطيات تغيراتية جديدة أثّرت في طبيعة الوعي الإيديولوجي للمواطن العراقي(سلام)، والذي لم ينظر إليه الرواي نظرة فرد أو كينونة شخصية مستقلة؛ بل كان ينظر إليه على أنّه نموذج إجرائي وفاعل إنْ قِيس عليه أي نموذج آخر من نماذج الشباب العربي الطموح والمثقف ممّن لم تسعفهم سياسات بلادهم المتذبذبة في ترجمة أحلامهم ورغباتهم تحت سقف الوطن المتآكل فوضى وفسادًا وظلمًا. فعبيد يسمّي من موقعه التبئيري الأمور بمسمّياتها الصريحة، ويصور الثوابت والمسلّمات والحقائق والمتغيرات بسرد انسيابي متعاور يمرّ فيه على كل شاردة وواردة في معمعة التخبط المتولّد في محافظة الموصل.

(١) تحليل الخطاب الروائي(الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين، ٢٨٢-٢٨٣-٢٨٤.

(٢) نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، جيرار جينيت وآخرون، ص١١٤-١١٥.

(٣) نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، جيرار جينيت وآخرون، ص١١١.

(٤) معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، ص٤٠.

وعبيد الراوي الضمني العليم عاش ما عاشه(سلام)، ولعلّ الأخير يمثل بديلاً موضوعيًّا معادلًا للأنا المشتركة بينهما؛ لأنّ عبيد ذاق ما ذاقه(سلام) من ويلات الحروب وآثارها ونتائجها على المدى القريب والبعيد؛ وقرر بعدئذٍ الهجرة خارج العراق. لذلك حرص صاحب(خطأ مقصود) على العناية بتطبيق مصطلح التبئير بالشكل الذي يضمن له تقديم رؤية سردية تبئيرية، تتّسم بالتناظرية والاتّساق ما بين الراوي والمروي له، ونجح فنيًّا في عطف قرارات الفرد العراقي على الأسباب والدوافع الخارجية؛ فكان لا مناص من اتّخاذ الرواي موقعه التبئيري السابق انسجامًا وضرورات المحكيّات التي تفرض عليه أن يكون على علم واسع بأدقّ تفاصيل التطورات العسكرية والسياسية والاقتصادية والإيديولوجية التي ألّمت بالعراق، كما تفرض عليه أن يعي كل الوعي جزئيات التغيّرات الاجتماعية المرصودة بعناية سردية فائقة؛ ليقدم للقارئ– بعد هذا وذاك– النتائج المترتبة على هذه الإحداثيات المعيشة، وليطرح بكل جرأة وموضوعية وحيادية وغيرية المآلات التي آل إليها المواطن العراقي، الأمر الذي يجعلنا نقول باطمئنان: إنّ التبئير المعتمد من طرف الروائي عبيد جاء ضرورة فنيّة لا يمكن تجاوزها في معرض حديثه عن وطن مأزوم ومواطن مسلوب مقهور.

بالرجوع إلى شخصية(خالد) صديق (سلام)– والتي كانت الدراسة قد أجلّت الحديث عنه إلى حين مجيء دوره في الدراسة؛ إذ ينبغي للدراسة قبل الخوض في شخصية(خالد) أن تعرّج على توضيح مفهومي تنظيري لمصطلح الإيديولوجيا (İdeology). لعلّ أدّق تعريف وأشمل توصيف لهذا المصطلح هو ما ورد في كتاب(مفهوم الإيديولوجيا) للكاتب والناقد (عبد الله العروي) ويقول فيه: «إنّ مفهوم الإيديولوجيا ليس مفهومًا عاديًّا يعبّر عن واقع ملموس فيوصف وصفًا شافيًا، وليس مفهومًا متولّدًا عن بديهيات فيُحدّ حدًّا مجرّدًا. وإنّما هو مفهوم اجتماعي تاريخي، وبالتالي يحمل في ذاته آثار تطورات وصراعات ومناظرات اجتماعية وسياسية عديدة. إنّه يمثّل تراكمَ معانٍ، مثله في هذا مثل مفاهيم محورية أخرى كالدولة أو الحرية أو المادة أو الإنسان»[1].

والرواية العربية المعاصرة تحمل للقارئ إيديولوجية زمكانية، يراعي فيها الكاتب مقاربة إيديولوجيته الشخصية وإيديولوجيات الشخصيات من دون تجاوز الإيديولوجية الواقعية السائدة في الفضاء الترواثي. ولطالما كانت الرواية العربية المعاصرة على ارتباط أدبي وإنساني بالواقع الذي تحكي عنه، وقد عوّل عليها الكتّاب الروائيّون مهمة نقل الوقائع والحقائق وإيديولوجيات المجتمعات إلى القارئ بقوالب فنية، تلتزم الجدية والموضوعية في تصوير الواقع وما يعتريه من تغيّرات وتبدلات على مستوى الممكن والمأمول من جهة، والواقع والموجود من جهة موازية، فالرواية المعاصرة– «بناء جدليّ

(١) مفهوم الإيديولوجيا، عبد الله العروي، ص٥.

جديد، يهتمّ بالإنسان لا بالفرد، بالقضيّة لا بالموضوع، غدا الخيال فيها أكثر تعقيداً، والتصوير أثرى رمزيّة، والكلمة أبعد دلالة، وأصبحت الموسيقى أقرب إلى الهمس والنّجوى»[1]. ولفظة المعاصرة يطلق على الرّواية التي ترتبط بالعصر الذي ظهرت فيه، وتعبّر عن التزامها بتصوير واقعه واحتياجاته السّائدة[2].

بالانتقال إلى الجدلية الإيديولوجية التي تحملها شخصية(خالد)، والتي جاءت كردّة فعل تأقلميّة سريعة متماشية مع المصلحة الشخصية على حساب المصلحة العامة أو العليا للوطن، نقرأ أثرًا فنيًّا معجبًا قدّمه الروائي عبيد وهو يغوص عميقًا في تبعيات دخول تنظيم داعش الموصل. والمفارقة أنّ من كان يزايد على(سلام) في الوطنية والمواطنة، وشعارات الانتماء والهوية والدين- ونقصد(خالد) العلمانيّ- هو نفسه من انسلخ عن إيديولوجيته التي فُطر عليها كمواطن عراقي مسلم الهوية، علمانيّ الطبع، يفخر بانتمائه لجغرافية العراق وتاريخه، ويزهو أمام صديقه(سلام) بوعيه الوطني الذي آثر البقاء في العراق المأزوم المتخبّط على أن يلجأ إلى بلاد أوروبا. ويطالعنا عبيد على هذه المفارقة في مشهد درامي يحمل في داخله عنصر المفاجأة والتشويق؛ إذ بُعيد رجوع(سلام) إلى العراق بعد ذيوع أخبار قرب تحرير الموصل من سلطة داعش، اضطُرّ إلى التنقل بين أكثر من بلدة ليصل إلى الموصل، وفي الحافلة التقى بِـ(أبو نوري) بائع الخضار والفاكهة، جارهم القديم، وبعد أن أعطاه ملخّصًا عن مصير أفراد عائلته وعزّاه بوفاة أبيه وأمّه وأخته سمر بادره (سلام) بالسؤال عن صديقه (خالد) فكانت الصدمة الدرامية في الحوار الآتي:

«...سألته بعد ذلك عن صديقي خالد، فأجاب بحسرة طويلة مصحوبة بامتعاض من ذكر اسمه:

- خالد بن ميسر صاحب معمل الثلج؟
- نعم.
- ألم تسمع عن أفعاله؟
- ومن أين لي أن أسمع وأنا لم ألتقِ غيرك؟
- هذا الرجل لبن حرام ومجرم.
- تبيّن أنّه أحد أمراء التنظيم، هو من قاد حملة ضدّ بيوت المسيحيين وسرقها في حيّ نركال، وسرق محتويات الكنائس والأديرة، ووشى بعمّه اللواء الركن صبحي الطحّان وابنه الطيّار عبد الغني، وتسبّب في إعدامهما، وقيل: إنّه هو عرّاب تفجير جامع النبي يونس الذي صُمّم بطريقة هندسية غاية في الجمال تشبه الجنائن المعلّقة، وبعدما تعاظمت رائحة أفعاله المشينة وانتشرت بما يزكم الأنوف اختفى وتعدّدت الروايات حول اختفائه، منهم من قال إنّه تصادم مع بعض من أمراء التنظيم الكبار، واختلف معهم حول ملايين الدولارات بعد سرقة الآثار المهمة وتهريبها إلى الخارج، وقيل: إنّه ترك الموصل، وذهب إلى مدينة الرّقّة السورية، وقال أحدهم: إنّه شوهد في مدينة سكاريا التركية حيث اشترى هناك عمارة كاملة، ويدير شركات بما سرقه من أموال، وكثرت الأقاويل،

(١) الشعر والشعراء- جماليات القصيدة المعاصرة، ص١٠.
(٢) تطور الرواية الحديثة، ماتز جيسي، ص٥١.

والله أعلم.

– خالد ذو الأفكار العلمانية الذي كان يهاجم الأصوليّة والسلفية ويمقت التعصّب بشتّى أنواعه وأشكاله يتحوّل إلى داعشيّ؟ والله لا أكاد أصدّق!

– صدّق يا أخي صدّق، أمثاله كصير للأسف، خانوا مدينتهم، وخانوا أنفسهم وأصلهم وفصلهم، من أجل مال سحت حرام، وتسبّبوا في قتل العشرات من الناس بلا ذنب، ستسمع العجب العجاب عن أفعاله وأفعال من يشبهونه من المجرمين والخونة، فلا تستغرب ممّا تسمع مني ومن غيري»[1].

يقدّم عبيد عبر شخص(خالد) أبعادًا اجتماعية وسياسية واقتصادية تتجلّى في التُّهم المنسوبة إليه وإلى أمثاله؛ كالسرقة والقتل وتدنيس دور العبادة المسيحية ونهبها، إضافة إلى الخيانة والتجرد من الأصل والفطرة، والمتاجرة بالدين لأغراض شخصية، والوشاية بأقاربه والتسبّب في إعدامهم، وغيرها من التّهم. ولهذا العرض التحقيقي في أفعال(خالد) غرضٌ فنيٌّ يرومه الكاتب؛ إذ يتقصّد سرد هذه التّهم والمساوئ ليقرّب القارئ إلى مسافة صفر مع الواقع الموصل العراقي الذي تغيّرت بنيته الديموغرافية إلى بنية هجينة من لقطاء داعش وحاضنة شعبية من أمثال(خالد) سهّلوا على هذا التنظيم بسط سيطرته وتنفيذ مآربه ومآرب من صنعوه في المنطقة العربية. فكان لا بدّ من حصول ردود أفعال قياسًا على التغيّر الحاصل في النسيج الشعبي للموصل، فمن أيّد الدولة وعمل معها وتاجر بالدين وغيّر إيديولوجيته كاملة حظي بما حظي به(خالد)، ومن ثار ضد التنظيم لقي حتفه، ومن ارتضى وصمت كرهًا نجا ولو مؤقتًا.

إنّ مثل هذه الأحداث الدرامية المتسارعة داخل الفضاء التخييلي للرواية– مع ميلنا إلى غلبة الواقع على التخييل– تركت أثرها على الواقع والفرد والجماعات؛ عندما ارتأى ضعاف النفوس في تغيير الإيديولوجيا مفازًا وتأقلمًا يجاري ركب التطور السياسي والعسكري والديني والإيديولوجي الملموس في المجتمع الموصلي، ومن جهة أخرى كان لا بدّ لتسارعية الحدث السردي الدرامي المرتبط بمجريات ميدانية تحصل في الواقع المعيش من أن ترخي بظلالها على أسلوبية الكاتب السردية؛ فهو موكل مهنيته الأدبية مهمة النقل الواقعي الدقيق لأبسط جزئيات التغيرات الحاصلة في الساحة السياسية والاقتصادية والدينية، فكان لزامًا على الكاتب عبيد أن يقرأ أوّلًا كلّ التغيرات الحاصلة بحيادية وموضوعية، ليقرأ بعدها تبعياتها وآثارها ونتائجها على مستوى المواطن الموصلي/العراقي والشعب الموصلّي، ليُصار بعد ذلك إلى مقاربة إيديولوجيا العنصر الدخيل(داعش) وإيديولوجيا أتباعه ممّن جاء بهم وممّن انضمّ إليهم من العراقيين، وطبعًا سيحصل صدام بين إيديولوجية هؤلاء وإيديولوجية (سلام) وجاره (أبو النور) وأمثالهما، ومن خلفهم الكاتب؛ لتضارب الرؤى والتأويلات حول وطن كلّ الشعب شريك في بنائه

(١) خطأ مقصود، محمد صابر عبيد، ص٢٥٤-٢٥٥-٢٥٦.

وحمايته. ونحن إذا ما قرأنا الإيديولوجيا المشتركة ما بين فكر داعش وفكر أتباعه من أمثال(خالد) نقع على سياسة ممنهجة تهدف إلى نسف البنية التحتية للعنصر الديني، وتشويهه بغرض التنفير والإساءة إلى سماحة الإسلام وعدله وحقنه الدائم للدماء، كما نقع على سياسة إجرائية ميدانية تولي الأهمية إلى تكفير باقي الأديان، واستباحة دور العبادة، وتجنيد العناصر مقابل منافع شخصية وحظوة اجتماعية تعطيها لأفرادها كي تضمن ولاءهم المطلق لهم. وفي الناحية الموازية هناك إيديولوجيا(سلام) وأشباهه ممّن يرفضون الاتجار بالدين الإسلامي لغايات جيوسياسية وإيديولوجيات متطرفة هي كفيلة بوأد مجتمع حيّ يحمل تاريخًا عريقًا كما هو الحال مع المجتمع العراقي.

ونماذج الشخصيات في رواية «خطأ مقصود» هي من صنع الفكر التخييلي الإبداعي خاصّته، ولكن من منظور النقد الأدبي لا يمكن التعامل معها كشخصيات تخييلية منقطعة عن الواقع، وهنا تفرض التبدلات الطارئة على المجتمع العراقي أن يكتب الرواي سردياته بقلم الواقع لا التخييل، وأن يكون أكثر صراحة في وسم الأمور وتشريح الصورة السردية المعَوَّل عليها في نقل المعطيات التغيراتية الحاصلة في مجتمع الرواية، وهذا ما فعله عبيد حين بدت مروياته تفصح عن الجوانب الواقعية لأحداثها بشكل أبعد ما يكون عن التخييل الروائي وخلق الفضاء الروائي الذي يتعالق فيه الواقع والمِخيال، إذ جنح صوب التمثيل الواقعي الجريء على مستوى الزمان والمكان والشخصيات والأحدوثات بأسبابها ونتائجها.

إنّ الوقوف على عتبات النزاع الحاصل في شخصيات الرواية يستلزم قراءة نقدية تربط النقد بالأيديولوجية المتجذّرة في ذهنية هذه الشخصيات وبشكل خاص شخصية (سلام)، وفي مسألة ربط النقد الأدبي بالأيديولوجية نجد الناقد والفيلسوف البريطاني المعاصر(تيري إيجلتون (Terry Eagleton) في كتابه (النقد والأيديولوجية) يقدّم تصوّرًا دقيقًا ومنطقيًّا لدور الأديب ككاتب وناقد في ترسيم حدود العلاقة التي تربط الأدب بالأيديولوجية، ويرى أنّه يجب على الناقد أن يعرض النصّ بصورة لم يعرف النصّ فيها نفسه، وأن يبيّن بجلاء الشروط التي أسهمت في صنع النصّ، فالنصّ- من وجهة نظره- يصمت عن هذه الشروط ويخفيها. كما يرى أنّ الأدب وسيلة حيوية وفاعلة لإدراج الأفراد ضمن دائرة الأشكال الرمزية والأشكال المُدرَكة حسيًّا للتشكيل الأيديولوجي السائد، ويستطيع الأدب أن ينجز هذه الوظيفة بالطرق الطبيعية والتلقائية والمباشرية الاختبارية غير المتحققة لأشكال أخرى من الممارسة الأيديولوجية. ولإيديولوجية المؤلف الخاصة بحكم الطبقة الاجتماعية، الجنس، القومية، الدين، الإقليم الجغرافي... علاقة مهمة مع الأيديولوجية العامة الراسخة في المجتمع، والتي تظهر في النتاج الأدبي للمؤلف، فلا يُعامَل التشكيل الأدبي بمعزل عن هذه العلاقة[1].

(١) ينظر: النقد والإيديولوجية، تيري إيجلتون، ص١٥-

إذا تناول القارئ هذا النتاج الأدبي لرواية «خطأ مقصود» من ناحية علاقة التحليل الأدبي بالنقد الأدبي، يجد أنّ صاحبها قد عرض تجربة فردية لعائلة (عبد الرزاق عيد) عبر مجموعة من التجارب الجماعية الاجتماعية، فهو لم يعرضها بقصد التحليل فقط، بل تعرّض إليها ناقدًا، لأنّ «النقد أوسع مجالًا من التحليل، والنقد يتجاوز التحليل إلى الحكم على الآثار الأدبية»[1]. لقد ظهر جليًّا للقارئ ذلك التشكيل الإيديولوجي السائد في حوار (سلام) وجاره القديم (أبو النور)، فعبر هذا الحوار أطلع عبيد قارئه على مناخ اجتماعي مستجد، طغت عليه صبغة داش الدينية المتطرفة إيديولوجيًّا، ورسم عبر الحوار السابق معطيات الحياة الجديدة التي حملها معه هذا التنظيم إلى داخل العراق عبر باب الموصل، حياة لا تمتّ بصلة إلى سماحة الإسلام ونهجه في المواطنة وحرية الأديان وصون المقدسات وتقوى الله في العباد، كما وقف القارئ على تضادية حاصلة بين إيديولوجية عبيد وإيديولوجية داعش عبر نموذج شخصية (خالد)، فكلّ ما ذُكر بحقّ فكره التشددي الطارئ- بعد أن كان علمانيًّا يعادي السلفية ثم أصبح إسلاميًّا متشددًا- وبحق ممارساته الفردية التي تدخل ضمن الممارسات الجماعية للتنظيم، إنّما هو إيعاز سردي صريح من طرف عبيد بمعاداة أمثال (خالد) وأقرانه من قِبَل حملة الإيديولوجية الوطنية الصرف الحقّ، كما أنّه إيعاز ضمني بالتمسّك بالإيديولوجية الشخصية التي فُطر عليها العراقي المسلم المعتدل والتي لا يُساوم عليها ولا تقبل أن يشوبها الانتفاع الشخصي أو أن تجري وراء مصالحها ممتطية الدين ومتاجرة بالقيم الوطنية وبحرية أفراد الشعب وأفكاره وحرياته.

هنا يظهر دور الأديب في تعرية الحقائق وكشف المخبوءات والتشهير بالممارسات الباطلة ونشر الوعي الإيديولوجي الوطني؛ سعيًا منه نحو عملية إرشاد قراءتية تضع المتلقي أمام تفاصيل المتغيرات الميدانية والفكرية ليميل ميل الأديب في رفض أي انتهاك فردي أو اجتماعي لحرمة الأوطان وحرية أفراده. وفي الوقت نفسه لم يكُ عبيد لِيجمّل الواقع أو يُعمل رتوشًا فيه، بل قدّمه كما هو بسلبياته وتجاوزات أفراده وجماعاته، ولكنه بدا متمسّكًا بإيديولوجيته كمواطن عراقي أولًا، وكأديب وروائي ثانيًا. والنموذج الإيديولوجي العكسي المتطرف الذي يحمله (خالد) وأمثاله كان نقطة تحوّر سردي درامي عكَسَ عبيد من خلالها بعضًا من أسباب نجاح تنظيم داعش في بسط سيطرته على المناطق التي يدخلها، فيعيثها فسادًا باسم الإسلام، كما أنّ نقطة التحور السردي الدرامي هذه وُظِّفَت بشكل فني ناجع حين أظهرت دور الإيديولوجية الأدبية والوطنية والوظيفية للكاتب في التعامل مع مستجدات واقع عاشه وخبرَهُ، راح يسرده روائيًّا مستعينًا بخصب قلم معرفته واستقامة فكره ووعيه الإيديولوجي كإنسان وكأديب وكمواطن لا يمكن

٧٣-٧٥.

(١) تحليل النّص الأدبي بين النظرية والتطبيق، عبد الجواد المحص، ص١٣٥.

لأي متغيّر أن يفصم العروة التي تربطه ومجتمعه الأمّ/ العراق وهو يواجه جهل تنظيم يدّعي الإسلام ويقتل وينهب ويغتصب باسمه بلا أدنى معرفة، وفي هذا الصدد يقول الناقد (تيري إيجلتون) في كتابه (العقل والإيمان والثورة) إنّه من المهم أن نلاحظ أنّه كما يمكن للمرء أن يؤمن بلا معرفة، فإنّ العكس أيضًا صحيح، وهو يرى أنّ التعصّب يخلط بين الإيمان والمعرفة، فالمتعصبين لا دين لهم في الحقيقة على حدّ قوله[1]، وهذا ما يحيلنا على موافقة إيجلتون ونحن نقرأ التعصب الجاهل لشخصية(خالد) الذي يمثل في إيديولوجيته إيدلوجية جماعة قائمة موجودة على أساس من التعصب والجهل واللا معرفة؛ وبالتالي اللا دين واللا منطق، فتذبذب العلاقة بين الإيمان والمعرفة إلى درجة انعداهما سبب طبيعي لمُسبّب إيديولوجي هو التعصّب للباطل والقتل والنهب والاستباحة والاغتصاب وذلك بسبب تمييع العلاقة السابقة بين إيمان ظاهريّ مؤقت وبين معرفة سطحية بالإيديولوجية السياسية والثقافية التي جلبها معه تنظيم داعش، وراج ينشرها بين أفراده؛ فوجد ضالّته في أمثال (خالد) ممّن بنوا عقيدتهم وفكرهم على أساس صدِئ قابل للانهيار مع أول عاصفة تغيير.

عوّل محمّد صابر عبيد على البعد الفضائي التخيّلي المحتوي أحداث الرواية وقصص شخوصها لكي يسبر بعضًا من الإيديولوجيات التي تحكم بعضًا من المجتمعات العربية، والدراسة إذ تتعامل مع معطيات رواية «خطأ مقصود» من حيث كونها مسرحًا تخييليًّا ولكنه نابع من رحم الواقعية الشرقية وتجلّياتها، تولّى الكاتب فيها مهمّة هندسة الديكور الخاص ببيئة/ مكان روايته المفترضة العراق/الموصل، واختيار الإضاءة الدلالية الملائمة لمشاهده، ومنح شخوص روايته فرصة التعبير الحرّ عن ذواتهم، وتقديم دورهم في الرواية، وذلك بالولوج إلى دقائق قصصهم، ومعاينتها على ألسنتهم من كثب، جاعلاً من الراوي (سلام) مديرًا لهذا المسرح الروائي التخييلي[2]. ولكن من جهة مقابلة، «يحرص الأدباء على أن تستوعب تجاربهم الفنية الهموم الاجتماعية ومبادئها وقيمها، فالأديب هو جزء فاعل من المجتمع يؤثر ويتأثر به، ويتفاعل الاثنان في تعاملهما مع صيغ الحياة اليومية ومساحاتها ورؤاها وإشكالاتها ذات النزعة الإنسانية العميقة[3]». (عبيد، والبياتي، ٢٠٠٨: ٢٢٦)،

تعتمد الدراسات الأدبية العربية الحديثة على تفعيل حضور العنصر الأنثوي في العمل الأدبي، وذلك لغايات كثيرة، لاسيّما أنّ المجتمع الشرقي المحافظ يرى في كينونة الأنثى محور الشرف والعرض والسمعة[4]، فلطالما رُمّزت دلالات الشرف والسيادة

(١) ينظر: العقل والإيمان والثورة، تيري إيجلتون، ص١٢٢ وما بعدها.

(٢) شعرية النسج الروائي: اشتباك اللغة والصنعة- دراسة سوسيو ثقافية نقدية في رواية خطأ مقصود لمحمد صابر عبيد، مراد كافي، ومحمد شيرين تشكار، ص٧٥.

(٣) مرايا السرد وجماليات الخطاب القصصي، محمد صابر عبيد، وسوسن البياتي، ص٢٢٦.

(٤) ينظر: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب،

والأرض بدالّ المرأة، ولطالما استُعيض عن اغتصاب الأوطان باغتصاب امرأة في ظلّ غياب الوجود الذكوري الفاعل. وفي رواية خطأ مقصود كان لعبيد منحى سردي فنيّ مختلف فرضته ضروروات النص الروائي؛ إذ حاول الربط بين صورة الأنثى من جهة والسلطة والسيادة الوطنية من جهة أخرى، ولا يخلو أيّ مجتمع من سلطة؛ على اعتبار أنّ الفوضى هي نقيض السلطة، ولكن الواقع يعكس تحوّل السلطة إلى تسلّط [1] (معزوز، ٢٠١٢: ٢٢)، فينحو بالسلطة نحو اللاعقلانية أو اللا نظام، وهذا ما حاول عبيد عكسه عبر تحول السلطة العراقية في قضاء الموصل إلى نوع من هيمنة الفوضى والاستباحة وفقدان الأمن والأمان مع إعطاء الضوء الأخضر لعناصر التنظيم في المسّ المادّي والمعنوي بكلّ ما تطاله الأبصار؛ ممّا خلّف حالة من هيستيريّة عمّت المكان، وغدت كل أنثى هدفًا مُباحًا شرعًا لأفراد داعش. في قصة اغتصاب (سمر) تمرير سردي لمضمون عالي الحساسية والفنيّة، فَ(سمر) هنا بدت كأنّها تجسّد بديلاً موضوعيًّا للجزء المغتصب من العراق وهو الموصل، وفقدان الحماية الذكورية لها يعادل فقدان العراق هيبته ومركزية سلطته الوطنية على الموصل؛ ممّا جعله يعجز عن حماية مواطنيه من براثن الوحش المغتصب الهائج. يقول عبيد وهو يصوّر مشهد دخول أمير من أمراء داعش هو(أبو طلحة الصيني) على(سمر) بوصفها سبيّة:

«– يبدو أنّك لست مسلمة أليس كذلك؟

–بلى أنا المسلمة، فهل أنت مسلم؟

–أنا أمير من أمراء المسلمين بدليل أنني ألقيت عليك تحية الإسلام ولم تردّي بمثلها أو أحسن منها، فمن منّا المسلم؟

–ابحث عمّن يعترف لك بذلك ليردّ لك التحية.

–يعجبني هذا النوع من النساء.

–ولا يعجبني هذا النوع من الرجال.

–أنتِ مرغمة على القبول بي زوجًا، ولا حيلة لك في رفضي مهما حاولت.

–لن أكون زوجة لأحد، لا أنت ولا غيرك.

ضحك بانشراح وثقة، وبدأ بالتخلّص ممّا يثقل كاهله من أسلحة، وتخفّف من ملابسه الثقيلة وكأنّه يحمل جسده جبلاً، جلس على أريكة...ثمّ توجّه إليّ بما يشبه التحذير:

–لستُ مستعجلاً كثيرًا، أعجبني ذكاؤك وشجاعتك وجمالك، ويسعدني أن تكوني زوجة حقيقية لي، ولستِ أمَةً أو جاريةً كما يفعلون، لا يوجد في الصّين الشاسعة أرضًا وبشرًا امرأةٌ مثلُك قطعًا، لكن مع عدم استعجالي ليس لديّ كثيرًا من الوقت كي أصبر عليكِ، وسأمهلكِ ما يسعني منه حتى تقتنعي أو أنا مضطرّ لأخذكِ عنوةً... [2]».

إبراهيم الحيدري، ص ٢٧٣ وما بعدها.

(١) هشام شرابي ونقد النظام الأبوي في المجتمع العربي، عبد العالي معزوز، ص ٢٢.

(٢) خطأ مقصود، محمد صابر عبيد، ص ١٢٠-١٢١-١٢٢.

حوارية المشهد الروائي السابق استطاع عبيد أن يفلسف العقلية الناظمة أمورَ هذه الجماعة على مستوى أمرائها وأفرادها؛ إذ حوّل هذا الأمير التوصيف الاجتماعي الشرعي لِـ(سمر) من سبيّة إلى زوجة كمكرمة منه، ومن المفروض أن تسعد بها الضحية(سمر)، الأمر الذي جعلها تتساءل في حوار داخلي ناجت بها روحها المهزومة المغتصَبَة:

«صحيح أنّ هناك مئة مليون مسلم في الصين كما قرأت ذات مرّة في صحيفة أو مجلة، وهم لا يشكلون إلا نسبة ضئيلة للغاية من شعب يقترب من ملياري إنسان كأنهم جيوش من النمل أو الدود، لكن أن يأتي أحدهم عامدًا متعمّدًا من هناك البعيد البعيد إلى هنا ليعيد أمجادًا مزيّفة للخلافة فهو أمر مضحك حقًّا ومثير للشفقة، والأدهى من ذلك والأمَرّ يصبح أميرًا ومُهابًا وسيّدًا مُطاعًا، يخدمه أبناء الموصل من المُغرّر بهم والمخدوعون والسفلة وناقصي الأخلاق والضمير والوفاء، فتلك حزورة ملتوية يستحيل حلّها، أيّ معادلة حقيرة وتافهة هذه التي علينا أن نقتنع بها ونصدقها ونمشي تحت لوائها؟ وأيُّ إسلام جديد يستعجل الذبحَ قبل التوبة، والتدمير قبل الإعمار، والموتَ قبل الحياة؟.»[1].

لقد فطن الكاتب عبيد إلى الدور الاجتماعي المنوط به كمواطن عراقيّ في المقام الأوّل، وكأديب في المقام الثاني، يعوَّل عليه ما لا يُعوَّل على غيره من نخبة المثقفين في استظهار الحقائق بعد تعريتها ونزع ماكياجها التزييفي التمويهي؛ ليكشف لابن العراق أوّلًا وللقارئ ثانيًا فظاعة اللعنة التي أصابت الموصل بسرطانها الخبيث بمجيئ جماعة هذا التنظيم الهجين بقادة وعناصر من أقاصي المعمورة، وقد وظّف عبيد بعناية وحنكة حذرتين الخط الموازي لهذا التنظيم وهو جماعة الطابور الخامس ممّن يشكلون الشريان الداخلي الذي يغذي شريان داعش داخل الموصل، هؤلاء الذين لعنتهم (سمر) ووصفتهم بالخونة، فمنهم من غُرِّرَ به، ومنهم من كان ناقص دين وشرف ويمتهن الإسلام أو لنقل التّأسْلُم لتحقيق مآربه الوضيعة. إذًا، وعبر مشهد استباحة أبي طلحة طهارة (سمر) وشرفها مرّر الكاتب جملة من المعطيات والحقائق؛ فَ(سمر) لم تكن هي من اغتُصِبَت، بل عدد كبير من حرائر الموصل، وإنّ استباحة شرف نساء الموصل لهو اعتراف ودليل على انهزامية الدولة في بسط سلطتها على البلاد، فآل الأمر لأولي الأمر من أفراد داعش الذين أقاموا سلطتهم على أساس الفوضى واللا سلطة.

لقد أنزل عبيد هذه الحقائق والمعطيات منزلة التاريخ الصرف لا التأريخ الذي هو صنيعة الإنسان لتبقى هذه الحوارات والمحكيات الروائية في روايته «خطأ مقصود» مرجعًا تاريخيًّا آمنًا لمن أراد الحقيقة لا أختها. يمكن القول إنّ توظيف عبيد العنصر الأنثوي في روايته عبر مشهد اغتصاب(سمر) جاء كضرورة فنية تعكس ما خلف المشهد المادّي من كوامن مجردة ومخبوءات حساسة لم يخجل عبيد من طرحها كما هي

(١) خطأ مقصود، محمد صابر عبيد، ص ١٢٧

على لسان الشخصية الأنثوية التي اختارها، وجعل منها الضحية(سمر)؛ ضحية فردية بحجم كيان قضاء الموصل المسلوب بيد داعش. إنّ الأدب لا ينقل إلينا الحياة حقًّا كما هي، وفق ما يرى ﴿عزّ الدّين إسماعيل﴾ في كتابه الأدب وفنونه، ولكنّ الأدب يعبّر عنها، وقد يعمل على تفسيرها أو نقدها. فالأدب ينقل إلينا فهم الأديب للحياة في ضوء الثوابت التي فيه والمتغيرات، عبر تجارب شخصية أو جماعية قد يكون الأديب عاشها أو عاصرها، فيعيد قولبتها أدبيًّا لغويًّا وفنيًّا لتشكّل صورة حقيقية معكوسة لوقائع وأحداث فردية وجماعية عبر سلطة الكلمة، فالكلمة كما يراها (إسماعيل) قد تكتسب قوتها من الشخصية التي استخدمتها، والأديب ذو الشخصية القوية المؤثرة، كعُبيد، يخلق للكلمة مجالًا واسعًا يجد المتلقي نفسه واقعًا في إسارها، ويحسن، أيّ الأديب، مزاوجة طريقته الخاصة في استخدام اللغة، والطريقة التي تُستخدم بها هذه اللغة في المجتمع.[1]

خاتمة

حاولت الدراسة تقديم صورة من صور التعالق ما بين الدراسات الأدبية المتنوعة والمتغيرات الحياتية والاجتماعية المستجدة في البيئة الروائية– المتخيلة سرديًّا والواقعية فنيًّا– عبر دراسة الأثر الحاصل في بنية المجتمع العراقي بعامة والموصلّي بخاصة إبّان دخول تنظيم داعش، وظهر جليًّا مدى التجاوب الحاصل بين العمل الروائي(خطأ مقصود) والواقع الاجتماعي المرصود في مرحلة حرجة من تاريخ العراق. ولأجل تحقيق الانسجام بين الحدث الميداني والحدث السردي سخّر عبيد لغته الفنية السردية عبر استخدام تقانات سردية مختلفة نجحت في كشف الحقائق والمخبوءات.

وقد رصدت الدراسة جملة من النتائج هي كالآتي:

– برز دور الرواية العربية المعاصرة الفاعل في مواكبة حجم الحدث التأريخي الذي عاشه شعب الموصل وهم تحت سيادة تنظيم داعش المزعوم.

– استطاع عبيد من خلال فنّ الرواية إثبات نجاعة هذا الفنّ في تمرير مرويّات سردية أظهرت قضايا فردية وجماعية مثل: عنوانات الوطن والوطن البديل والهوية المفقودة واللا انتماء واللجوء؛ بناءً على إحداثيّات ميدانية ومعطيات حدثيّة من داخل الأزمة.

– اهتمّ الأديب الروائي عبيد بعنصر التبئير السردي وهو يتّخذ مكانه في الرواية كراوٍ ضمني عليم بجزئيات الحدث ودقائق الأمور الثابت منها والمتغير ضمن البيئة الزمكانية التي جرت فيها حكائيّات الرواية.

– إنّ مسألة اصطدام الإيديولوجيات كانت محط اهتمام عبيد؛ فقد أظهر من خلالها أثر الحدث الواقعي في تغيير الرؤى والأفكار والممارسات التي فُطر عليها الأفراد.

– لا يمكن الاستغناء عن عنصر المرأة في الدراسات الأدبية التي تخصّ حريّة الأوطان وقدسيتها

(١) الأدب وفنونه، دراسة ونقد: (الأدب، المسرحية، النقد، المقال، الشعر، ترجمة الحياة، القصة الخاطرة)، عزّ الدين إسماعيل، ص١٣ وما بعدها.

وسيادتها، فالمرأة يُستعان بها كبديل موضوعي للوطن المسلوب والمغتَصَب.

المصادر والمراجع

الأدب وفنونه، دراسة ونقد: (الأدب، المسرحية، النقد، المقال، الشعر، ترجمة الحياة، القصة الخاطرة)، عزّ الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، القاهرة.

تحليل الخطاب الروائي(الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٩٧.

تحليل النّص الأدبي بين النظرية والتطبيق، عبد الجواد المحص، حقوق النشر والطبع محفوظة للمؤلّف، من دون رقم طبعة، ٢٠٠٤.

تطور الرّواية الحديثة، ماتز جيسي، ترجمة: لطيفة الدليمي، دار المدى، الطبعة الأولى، بغداد، ٢٠١٦.

والتفكيك والأيديولوجية ودراسات أخرى، تيري إيجلتون، و: كيس، سو- إلين وآخرون، ترجمة: نهاد صليحة وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، من دون رقم طبعة، القاهرة، ٢٠٠٠.

خطأ مقصود، محمد صابر عبيد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، من دون رقم طبعة، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٢١.

سوسيولوجيا الثقافة، الطاهر لبيب، مطبعة فضالة، من دون رقم طبعة، الدار البيضاء/المغرب، ٢٠٠٦.

الشعر والشعراء -جماليات القصيدة المعاصرة-، طه وادي، الشركة المصرية العالمية للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٠.

شعرية النسج الروائي: اشتباك اللغة والصنعة- دراسة سوسيو ثقافية نقدية في رواية خطأ مقصود لمحمد صابر عبيد، مراد كافي، ومحمد شيرين تشكار، دار ماشكي، الطبعة الأولى، الموصل/العراق، ٢٠٢١.

العقل والإيمان والثورة، تيري إيجلتون، ترجمة: أسامة منزلجي، دار المدى للإعلام والثقافة والفنون، الطبعة الأولى، بغداد، ٢٠١٧.

مرايا السرد وجماليات الخطاب القصصي، محمد صابر عبيد، وسوسن البياتي، دار العين للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٨.

معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٢.

مفهوم الإيديولوجيا، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثامنة، الدار البيضاء/المغرب، ٢٠١٢.

النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، إبراهيم الحيدري، دار الساقي، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٣.

نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، جينيت، جيرار، وآخرون، ترجمة: ناجي مصطفى، منشورات دار مؤسسة الحوار الأكاديمي والجامعي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ١٩٨٩.

النقد والإيديولوجية، تيري إيجلتون، ترجمة:

فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، من دون تاريخ طبعة، بيروت، **١٩٩٢**.

هشام شرابي ونقد النظام الأبوي في المجتمع العربي، عبد العالي معزوز، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، **٢٠١٢**.